الدلالة النحوية في النداء وأساليب التعبير القرآني في استعمالاتها

GRAMMATICAL SIGNIFICANCE IN AL-NIDA AND METHODS OF QURANIC EXPRESSION IN THEIR USES

د.كوثر أرشد*

زين العابدين آريجو*

ABSTRACT:

Semantics is one of the most important languages of science that explains and shows the glamour of the Arabic language in the use of words in several places, and shows what it contains language from words that can express any idea, and describe precisely.In this article I talked about the definition of the language semantics and idiomatically, and how they responded when this term, logician and jurisprudent. Then I pointed out the types of Semantics which acoustic significance, morphological, syntactic, lexical and social. After that I explained the significance in the "Ayyu" and "Laalla" and "syncopation" and how syntactical change the situation and its impact on the diversity of semantics.

KEYWORDS: Semantics, kinds, significance; literal and idiomatic meaning of Semantics,

الكلمات المفتاحية: دلالات ، أنواعها ، أهمية. المعنى الحرفي والتعابير للدلالة

الحمد لله الذي علم الإنسان بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين نبينا مُحَمَّد ﷺ وعلى آ له وأصحابه أجمعين.أما بعد:

الملخص

علم الدلالة يعدّ من أهم علوم اللغة لأنه يوضح ويبين سحر اللغة العربية في استخدام الألفاظ في عدة مواضع، ويبين ما تحتويه اللغة من كلمات قادرة على التعبير عن أي فكرة، وصفها وصفا دقيقا.

تحدثت في هذا المقال عن تعريف علم الدلالة لغة واصطلاحا، وكيف ورد هذا اللفظ عند المنطقيين والاصوليين. ثم أشرت إلى أنواع الدلالات وهي الدلالة الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية

* أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة – إسلام آباد

* الاستاذ المساعد ، جامعة شاه لطيف ، خيرپور ، السند ، الباكستان

والاجتماعية. بعد ذلك بينت الدلالة في" أي" و"لعل" و"الترخيم" وكيف تغير الحالة الإعرابية وأثره في تنوع الدلالة.

الدلالة فى اللغة:

مصدر الفعل دلَّ، وهو من مادة (دلل) التى تدل فيما تدل على الإرشاد إلى الشئ والتعريف به ومن ذلك "دله على الطريق، أى سدده إليه"، " وفى التهذيب دللت بهذا الطريق، دلاله: عرفته، ثم إن المراد بالتسديد: إراءه الطريق"[1] ومن المجاز"الدالّ على الخير كفاعله" ، "ودله على الصراط المستقيم"[2] . الدلالة بفتح الدال وكسرها وضمها مصدر سماعي من الفعل الثلاثي دلل أو يدل دلالة ودلالة ودلوله والفتح أعلى بمعنى أرشد وسدد وهدى. يقال دله على الطريق إذا سدده وأرشده إليه. ومنه قوله تعالى على لسان أخت موسى عليه السلام: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم﴾[4]. ودل فلان إذا هداه ، ومنه قوله:" إن الدال على الخير كفاعله [5] فهي إرشاديه وهداية وتسديد. وتأتي بمعنى إبانه الشيء بامارة تتعلمها يقولون: دل فلان فلانا على السبيل أي بينه له ومن هذا المعنى جاء قولهم: لفظ بيّن الدلالة، أو نص بيّن الدلالة.

من دلّ، من مادةِ دلل التي تدل على الارشاد الى الشيء والتعريف به ومن ذلك (دله على الطريق اي سدده اليه)[6]

الدلالة اصطلاحاً:

علم الدلالة مصطلح حديث اول من وضعه العالم الفرنسي اللغوي برايل في سنة 1897، وقد اسماه السيمانتيك، (كما اطلقة عليه اسماء في اللغة الانجليزية semantic)[7] أشهرها الان كلمة سيمانتيك

1 الزبيدى، تاج العروس، طبعة الكويت، (ج 28 / 497 . 498)

2 الزمخشرى ، محمود بن عمر الزمخشري ،أساس البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ترجمة، تحقيق: عبد الرحيم محمود ،ص 134

3.سورة طه (4.)

4سورة الصف (1.)

5 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب الإماره ، باب فضل إعانه الغازي في سبيل الله بلفظ :" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " ، رقم (1893)، (3/ 15.6)

6 تاج العروس ج 28 497 – 498

7 علم الدلالة 11

اليونانية وتعني علامة. Sema والمصطلح ماخوذ عن كلمة.

ومن الغريب ان نرى ان الكلمة عربية الاصل وهي سيماء من سمة وتعني علامة ايضا بدلالة قوله تعالى ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[1].

وكان الاولى ان يؤخذ هذا اللفظ بما انه يدل على المعنى.

والدلالة: ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه والجمع دلائل ودلالات. ودليل: المرشد والكاشف عن الشيء وما يستدل به وما يقوم به الإرشاد والبرهان . والجمع أدلة وأدلاء.[(2)]

الدلالة عند المنطقيين والاصوليين:

وقد ورد هذا اللفظ عند المنطقيين وقد حددوه بالدلالة اللفظية، كما استخدم عند الاصوليين. ويعني عند المنطقيين كون اللفظ بحيث متى اطلق او تُخيل فُهم منه معنى للعلم بوضعه، فالدلالة اللفظية هو ان (دلالة اللفظ على تمام معناه، واما ان يساق ليدل على بعض معناه واما ان يساق ليدل على معنى خارج عن معناه)[3].

وهكذا نجد هذا العلم دخل المنطق واصول الفقه وفقه اللغة وقد يصب هذا العلم في كل هذه المجالات الا ان هذا العلم اصبح علما قائما بذاته في العصر الحديث وان بدت بوادره عند الجرجاني.

فالدلالة في عرفهم (هي كون اللفظ متى اطلق او تخيل فهم منه معناه: للعلم بوضعه، وهي المنقسمة الى المطابقة او التضمن و الالتزام)[4]

تعريف علم الدلالة:

(دراسة المعنى او العلم الذي يدرس المعنى، او ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، او ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها حتى يكون قادر على حمل المعنى)[5]

علم الدلالة بين القديم والحديث:

1 سورة الفتح 29

2 ابن منظور ،ابو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم الأفريقي المصري لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، باب اللام فصل الدال ،(1/ 1..3) ، الفيروز ابادي ، مُحَمَّد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط2 ، المطبعة الحسينية ، مصر ، باب اللام ، فصل الدال، (3/ 377)

3 ضوابط المعرفة 27

4 التعريفات 1.4

5 علم الدلالة 11

لم يهتم علماء القديم في دراسة اللفظ بالدقة التي يتناولونها اليوم، فالامر كان مقتصراً على الدراسات التاريخية، والاشتقاقية، وهذا ما تدل عليه معاجم اللغة الا (ان هناك من درس هذا العلم واعطاه اهتمام اكثر وهم علماء الفقه و الاصول)[1]

أنواع الدلالات

1- **الدلالة الصوتية**: هي الدلالة الصوتية الطبيعية التي تعنى بوجود مناسبة ما بين اللفظ والمعنى. (والفضل في مثل هذا الفهم يرجع الى ايثار صوت على اخر او مجموعة من الاصوات على اخرى في الكلام المنطوق به)[2]

وهناك دلالة صوتية تحليلية يتغير بها المعنى تبعا لتغير الوحدات الصوتية. (ومن مظاهر الدلالة الصوتية النبر فقد تستعمل (اسماً) اذا كان النبر على المقطع الاول منها، فاذا انتقل النبر تصبح فعلا)[3]

والنبر يكثر في اللغات الاوروبية وبعض اللغات الشرقية كالصينية مثلاً.

والنبر او الدلالة الصوتية هذا ما يقر به العقل والتجربة، فلو انك قلت فعلاً تقصد به الامر فالنبر واضح ويركز تركيزاً شديداً على الحروف الصحيحة دون حروف العلة فعندما نقول مثلاً اكتب يكون التركيز على حرف الباء، اما ادعُ فيحذف منه حرف الجوف لانك لا يمكن ان تشد عليه فلا نبر فيه.

والدلالة الصوتية اطلق عليها ابن جني الدلالة اللفظية وهذا ما ينطبق عليه تعريف اللفظ عنده.

2- الدلالة الصرفية

والدلالة الصرفية اطلق عليها علماء الصرف الدلالة الصناعية ومنهم ابن جني، وهي التي تعنى بصرف اللفظ كقولنا مثلاً: رجع على وزن فعل، فالفعل تتغير دلالته لو كان على وزن افعل اي ارجع، وهذه الصيغة انتقلت من اللزوم الى التعدية، او قولنا واهب على وزن فاعل، فاذا بدلناها على وزن فعال، تغيرت الدلالة الى المبالغة.

3- الدلالة النحوية

ان الجمل في نظامها اما ان تكون فعلية، او اسمية مثلاً، فالدلالة عند التغيير من الاسمية الى الفعلية، تتغير و تولد نمطاً جديداً، وهذا ما سبق اليه علماء اللغة العربية، ومن المؤكد ان نظام الجملة و التركيب في اللغة العربية واسع، وبنيته دقيقة فالعرب ابرع من غيرهم في هذا الامر.

4- الدلالة المعجمية والاجتماعية

1 استخدام عام الدلالة في فهم القرات 12

2 دلالة الالفاظ 46

3 المصدر نفسه

لا تخلو كلّ كلمة من دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عن الاخرى بما توصله اصوات هذه الكلمة، او صيغتها من دلالات زائدة على الدلالة الاساسية، فالدلالة المعجمية نراها واضحة عند رجوعنا الى معنى اللفظ اما الدلالة الاجتماعية فنلحظها حين تتركب الجملة من عدة كلمات تتخذ كل كلمة شكلاً معيناً، يؤدي ذلك الى التركيب النحوي ولكل كلمة وظيفة، وقد اهتم علماء اللغة في العصر الحديث بالدلالة الاجتماعية الي ولدت افقاً في اللغة واسست لعلم دلالة الالفاظ. ومثال ما تقدم كلمة يد فقد ورد معناها في لسان العرب بمعنى الكف، واليد في المعجم الوسيط من اعضاء الجسد وهي من المنكب الى اطراف الاصابع، فالمعنى الذي ذكرناه هو المعنى المعجمي، وهناك معنى آخر له دلالة اخرى عند اصحاب السياق، وهذا ما يتفق مع الدلالة الاجتماعية، ففي السياق نقول مثلاً زيد طويل اليد ونعني سمحاً، ولو قلت سقط في يده فالمعنى ندم.

دلالة (أيّ) في النداء

أيُّ: وُصلةٌ إلى نداء ما فيه الألف واللام ، كما أنّ ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأَجناس ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ، ويُزيل إبهامه ، فلا بّد أن يردفه اسمُ جنس أو ما يجري مجراه ، يتّصف به حتى يَضِحَ المقصودُ بالنداء ، فالذي يعملُ فيه حرفُ النداءِ هو(أيّ) ، والاسم التابع له صفتُه ؛ كقولك يا زيدُ الظريفُ ، إلاّ أَنَّ (أيّا) لا يستقِلُّ بنفسِه استقلالَ زيد ، فلم ينفكَّ مِنَ الصفةِ ، وفي هذا التّدرُّج مِن الإبهام إلى التوضيح ضربٌ من التأكيد والتشديد ، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين : معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ، ووقوعها عوضاً مما يستحقُّه (أيُّ) من الإضافة [1] 0

تقول : يا أَيُّها الرَّجلُ فـ(أيّ) مُنادى مُفرد مبني على الضَّمِّ و(ها) زائِدةٌ و (الرَّجُلُ) صِفَةٌ لـ(أيّ) ويجب رفعه عِنَد الجمهور ، لأَنَّهُ هو المقصودُ بالنداء ، وأجاز المازنيُّ نصبَهُ قياساً على جَوازِ نَصبِ الظريفِ قي قولِكَ : يا زيدُ الظريفُ بالرفع و النصب[2] ، قال الزجاج : ((لم يُجِز هذا المذهب أَحدٌ قبله ولا بعده ،

(1) ينظر : الكشاف : 85/1 ، والتفسير الكبير : 92/2 ، 93 ، و البحر المحيط : 233/1 ، والمحرر الوجيز : 196/1

(2)كتاب الجمل في النحو ، للزجاجي : 527 ، واللمع في العربية : 2.3 ، ومشكل اعراب القرآن للقيسي : 121/1 ، وشرح الوافية نظم الكافية ، لابن الحاجب النحوي : 194 ، وشرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ ، لابن مالك : 281 ، والفاخر في شرح جمل عبد القاهر ، لابي الفتح البعلي : 524/2 ، وكتاب كشف النقاب عن محذّرات ملحة الإعراب ، للفاكهي : 475/2 ، ورسالة (أيّ) المشدة لعثمان النجدي الحنبلي : 38 ، 39

وعلة ذلك أَنَّ المقصود بالنداء هو التابع و (أيّ) وصلةٌ إلى ندائه))[1]0

و(أيُّ) منادى مفرد مبني ، لأنّه وقع موقع حرف الخطاب ، وهو الكاف ، وإنّما بُنِيَ على الحركة مع أَنَّ الأصلَ في البناء على السكون ليُعلم أنه ليس بعريق في البناء ، والبناء عارض فيه ، وإنّما حُرِّكَ بالضمّ لأنَّهُ كان في أصلِه التنوين ، فلما سقط التنوين في البناء أشبه (قبل و بعد) الذي قطع عنه الغاية فارتفع [2] 0

وقيل : ضُمّ (أيُّ) كما ضُمَّ المقصود المفرد ، وجاءوا بـ(ها) عوضاً عن ياء أخرى ، وإنما لم يأتوا بياء لئلا ينقطع الكلام فجاءوا بـ(ها) حتى يبقى الكلام متصلاً [3]0

قال سيبويه : ((فكأنَّكَ كَرَّرت (يا) مرتين إذا قُلتَ : يا أَيُّها ، وصار الإسمُ بينهما كما صار هُوَ بين هَا وذَا إذا قُلتَ : ها هو ذا))[4] ، ((وقيل : لما تعذَّر عليهم الجمع بين حرفي تعريف أَتوا في الصورة بمنادى مجرّد عن حرف تعريف ، وأَجروا عليه المعرّف باللام المقصود بالنداء ، والتزموا رفعه ؛ لأنّه المقصود بالنداء ، فجعلوا إعرابه بالحركة التي يستحقها لو باشرها النداء تنبيهاً على أَنَّهُ المنادى))[5] 0

وهذه تعليلات ذكرها العلماء تمتزج فيها الأحكام والعلل النحوية ومن ذلك قول النحاس : (((أيُّ) نداء مفرد ضمّ لأنّهُ في موضع المكْنيّ ، وكان يجب أن لا يُعرب فكرهوا أَن يخلوه من حركة لأنّهُ قد كان متمكناً فاختاروا له الضمةَ لأنَّ الفتحة تلحقُ المعربَ في النداءِ والكسرةَ تلحقُ المضافَ إليهِ)[6]

واجتلبت (أيّ) بعد حرف النداء فيما فيه الألف واللام لأنَّ في حرف النداء تعريفاً ، فكان يجتمع تعريفان و(ها) تنبيه واشارة إلى المقصود وهي بمنزلة (ذا) في الواحد ، و(الرَّجُلُ) نعتٌ لازم لأي [7] ، ((ومتى أَرادوا نداء ما فيه (أَل) أَتَوْا قَبْلَهُ بـ(أيّ) فأَدخَلُوا عليها حرفَ النداء ، وأَتَوا بعدها بـ(هاء) التنبيه جبراً لما فاتها من الإضافه ثم أَتَوا بالمقصود بالنداء في صورة نعت لـ(أيّ) تابع لها على اللفظ لا

(1) حاشية الصبان : 223/3 ، وهذا القول غير مذكور في معاني القرآن وإعرابه للزجاج .

(2) مجمع البيان : 121/1

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 247/1

(4) كتاب سيبويه : 197/2

(5) الجامع لأحكام القرآن : 247/1

(6) إعراب القرآن ، للنحاس : 146/1 ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لابن هشام : 449

(7) المحرر الوجيز : 196/1 ، وشرح الوافية نظم الكافية : 194 ، وشرح ابن طولون على ألفية ابن مالك : 122/2 ، 123

على المحل ، فإن محلها نصب على المفعولية بفعل محذوفٍ وجوباً تقديره : أَدعو ، أو أنادي أو أطلب ، ونحو ذلك))[1]

وجاء في شرح المفصّل : ((وأيُّ في قولِكَ : يا أَيُّها الرَّجُلُ هي أَشدُّ إبهاماً من أسماءِ الإشارةِ ألا ترى أنَّها لا تُثنّى ولا تُجمع فتقول : يا أَيُّها الرجُلُ ويا أيُّها الرجُلان ويا أيُّها الرجال ولذلك لزمها النعت)) [2]

وقد علل المفسرون كثرة النداء في كتاب الله على هذه الطريقة ، قال الزمخشري : ((لاستقلالة بأَوجهٍ من التأكيد والمبالغَةِ ، لأَنَّ كلَّ ما نادى الله له عبادَه من أَوامره ونواهيه ، وعظاته وزواجره ووعدِه ، ووعيده واقتصاصِ أخبارِ الأُمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أُنِطقَ به كتابُه أمورٌ عظامٌ وخطوبٌ جسامٌ ومعانٍ عليهم أَن يتيقظوا لَها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائِرِهم اليها ، وهم عنها غافلون ، فاقتضت الحالُ أَن يُنَادَوْا بالآكدِ الأَبلَغِ))[3] ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب الفخر الرازي في تفسيره [4] ، وقال برهان الدين البقاعي (ت885هـ)[5] في نظم الدُّرر : ((وأَكدَ سبحانه بالإبهام والتنبيه والتوضيح بتعيين المقصود بالنداء تنبيهاً على أنَّ ما يأتي بعده أمور مهمة يحق لها تشمير الذيول والقيام على ساق الجد)[6]

وذهب أبو السعود إلى القول : (ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب المبالغة والتأكيد كَثُر سلوكُها في التنزيل المجيد ، كيف لا وكلُّ ما ورد في تضاعيفه على العباد مِنَ الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوبٌ جليلةٌ حقيقيةٌ بأن تقشعِرَّ منها الجلودُ وتطمئنَّ بها القلوبُ الأَبية، ويتلقَّوها بأذانٍ واعية وأكثرهم عنها غافلون، فأقتضى الحالُ المبالغةَ والتأكيدَ في الإيقاظِ والتنبيه)[7] ، والنداء على هذه الطريقة ذُكِرَ معه حرفُ النداءِ في الأعم الأغلب وحُذِفَ في تسعة مواضع في الكتاب العزيز[8]،

(1) رسالة (أيّ) المشدّدة : 38 ، 39 ، وينظر : النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري : 542/1 ، وشرح الوافية نظم الكافية : 194

(2) شرح المفصل : 271/2

(3) الكشاف : 85/1

(4) التفسير الكبير : 93/2 .

(5) هو ابراهيم بن عمر البقاعي ، أنظر : الاعلام : 5/1.

(6) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور : 53/1

(7) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 8/1.

(8) االنساء: 133، يوسف: 46، 7.، الحجر: 57، النور: 31، يس: 59، الزمر: 64، الذاريات: 31، الرحمن: 31 ، الواقعة:51

وقد جوّز النحاة حذفَ حرفِ النداءِ وإثباته مع (أيّ) في النداء [1] ، ولم يعلل المفسرون[2] ، ولا النحاة سوى السيوطي سبب الحذف [3]

وذهب السيوطي إلى القول إنَّ سبب الحذفِ هو الاختصار [4] ، وذكر الباحثون المعاصرون جواز حذف حرف النداء مع (أيّ) ولم يتطرقوا إلى سبب الحذف [5]ويرى الباحث أَنَّ هناك ما يشبه القاعدة وهي تطّرد في كتاب الله العزيز في آيات النداء بـ(أيّ) ، فإذّا تصدّرت (أيّ) في النداء وجاء بعدها المعني بالنداء أو غاية النداء يذكر معها الحرف من نحو قوله تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا) وقد تكررت في القرآن الكريم في تسعة وثمانين موضعاً ، و (ياأيَّها الناس) وقد تكررت في القرآن في عشرين موضعاً ، (يا أيُّها النبي) وقد تكررت في القرآن في اثني عشر موضعاً و(يا أيّها الرسول) وقد تكررت في موضعين و (يا ايّها الانسان) وقد تكررت في موضعين ، و(يا أيها الملأ) وقد تكررت في خمسة مواضع و (يا أيُّها العزيز) في موضعين و (يا أيُّها الذي) في موضع واحد ، و (يا أيُّها الرسل) في موضع واحد ، و(يا أيّها الساحر) في موضع واحد ، و(يا ايُّها النمل) في موضع واحد و (يا أيّها المزَّمل) في موضع واحد ، (ويا أيُّها المدثر) في موضع واحد ، و (ويا ايّتُها النفسُ) في موضع واحد، و (يا ايُّها الذين هادوا) في موضع واحد ، و(يا ايّها الذين كفروا) في موضع واحد ، و(يا ايّها

(1) الغرة المخفية ، لابن الخباز في شرح الدرة الألفية لابن معط : 516/2 ، والفاخر في شرح جمل عبد القاهر : 518/2 ، وشرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام : 1.2 ، وشرح المكودي على الألفية : 213 ، الفرائد الجديدة ، للسيوطي : 342 ، ، وشرح ابن طولون على الفية ابن مالك : 1.7/2 ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك : 199/3

(2) الكشاف : 85/1 ، ومجمع البيان : 121/1 ، والتفسير الكبير : 92/2 ، 93 ، والجامع لأحكام القرآن : 247/1، ونُظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور : 53/1 ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 8/1. ، والفتوحات الالهية : 26/1 .

(3) ينظر : علل النحو لأبي الحسن الوراق : 475 ، 476 ، والغرّة المخفية في شرح الدرة الالفية : 516/2 ، والمقرّب : 194 ، وشرح كافية ابن الحاجب ، للرضي الاستراباذي : 386/1 ، والفاخر في شرح جمل عبد القاهر : 518/2 ، وشرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : 1.2 ، وأوضح المسالك إلى الفية ابن مالك : 72/3 ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 269/3 ، وشرح المكودي على الألفية : 213 ، والفرائد الجديدة : 342 ، وشرح ابن طولون على الفية ابن مالك : 1.7/2 ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني : 199/3 ، وقرّة العين في النحو ، صدر الدين العاملي : 88 .

(4) المطالع السعيدة ، شرح السيوطي على الفيته المسماة بالفريدة : 279 ، والفرائد الجديدة : 342

(5) الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون : 137 ، ومعاني النحو : 7/4.. ، والتراكيب اللغوية في العربية : 279، واسلوب النداء دراسة لغوية صوتية (بحث) : طارق الجنابي : 97

الكافرون) في موضع واحد ، وما ذكرناه ينطبق على قوله تعالى : (فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[1] ، وقوله : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)[2]، وقوله :(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)[3] .

وقوله: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)[4]، وقوله:(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[5]0

وبعد البحث في دواوين الشعر العربي تبيّن لنا أَنَّ (أيّا) إذا تصدرت في النداء يذكر معها الحرف في الأعم الأغلب من نحو قول المهلهل بن ربيعة (ت 94ق هـ) :

يا أيُّها الجاني عَلَى قومِهِ ما لم يَكُن كان لَهُ بالخَليقِ[6]

وقال الحارث بن حلزة (ت 54 ق0هـ) :

يا أيُّها المزمعُ ثُمَّ انثنى لا يشيكَ الحازي وَلاَ الشّاحجُ [7]

وقال العباس بن مرداس (ت 18هـ) :

يا أيُّها الرجل الذي تهوي بِهِ وَجناءُ مُجمَرةُ المناسم عرمِسُ[8]

وقال النجاشي الحارثي (ت 49هـ) :

(1) يونس : 23

(2) يوسف : 43

(3) يوسف : 88

(4) النمل : 16

(5) الأحزاب : 56

(6) ديوانه : 53 ، وخليق : جدير به كأنما خلق له وطبع عليه

(7) من الشعر المنسوب للحارث بن حلزّة ، ديوانه : 64 ، والشاحج : البغل والحمار

(8) ديوانه : 72 ، وجناء : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة الوجنتين ، والمنسم خف العير .

يا أيُّها الرجل المبْدي عداوَتَهُ رَوِّ لنفسِكَ أيّ الأمر تأتَمِرُ[1]

وقال النابغة الجعدي (ت 50هـ) :

يا أيُّها الناس هل تَرونَ إلى فارِسَ بادَت وَخدُّها رَغِمَا[2]

وقال حسان بن ثابت (ت 54هـ) :

يا أيُّها الراكب الغادي لطيّتِهِ أبلغ لدَيكَ وَعيداً ليس بالكَذِبِ[3]

وقال أيضاً :

يا أيُّها النَّاسُ أبْدوُا ذاتَ أنفسِكُم لا يستوي الصّدقُ عندَ الله والكَذِبُ[4]

وقال أعشى همدان (ت 83هـ) :

يا أيُّها القلبُ المُطيعُ الهوى أَنّى اعتراكَ الطربُ النازحُ[5]

وقال أيضاً :

يا أيُّها القرمُ الهجانُ الذي يبطشُ بطشَ الأسدِ اللابدِ [6]

وقال العجاج (ت 90هـ) (رجز) :

يا أيُّها الراجِمُ رَجمَ الحادِسِ [7]

وقال الأخضر اللهبي (ت 96هـ) (رجز)

(1) ديوانه : 154

(2) ديوانه : 149

(3) ديوانه : 33

(4) ديوانه : 19

(5) ديوانه : 97

(6) ديوانه : 1.9

(7) البيت للعجاج ، ديوانه : 445 ، وقبله : قالتْ سُلَيْمَى لي معَ الضَّوارِسِ

يا أيَّها السائلُ عن علي (1)

وقال الأحوص الأنصاري (105هـ) :

يا أيُّها اللائمي فيها لأصرِمَها أكثرت لو كان يُغني عنكَ إِكثارُ (2)

وقال الفرزدق (ت 110هـ) :

يا أيُّها النّاسُ لا تبكوا على أحدٍ بَعدَ الذي بِضُميرٍ وافَقَ القَدَرا (3)

وقال جرير (ت 110هـ) :

يا أيُّها الراكبُ المُزجي مطيَّتَهُ بَلِّغ تَحيَّتَنَا لُقيت حمُلانا (4)

وقال أيضاً :

يا أيُّها الرَّجُلُ المُرخي عمامتَه هذا زمانُك إِني قد مضى زمني (5)

وقال العرجي (ت 120هـ) :

يا ايُّها المتحلي غيرَ شيمَتِهِ ومَن خلائقُهُ الإِقصارُ والمَلَقُ (6)

وقال النابغة الشيباني (ت 125هـ) :

يا أيُّها الأجدعُ الباكي لمَهلكِهِم هل بأسُ ربّكَ عَن مَن رامَ مصروفُ (7)

وقال الوليد بن يزيد (ت 126هـ) :

(1) ديوانه : 16

(2) ديوانه : 89

(3) ديوانه : 2.8

(4) ديوانه : 75

(5) ديوانه : 743

(6) ديوانه : 33

(7) ديوانه : 11. ، واجدع بيّن الجدع وهو قطع الأنف والأذن وقطع اليد والشفة

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحنُ على دين أبي شاكرِ [1]

وإذا تأخرت (أيُّ) في النداء وتقدم عليها المعني بالنداء او غاية النداء يُحذف الحرف من نحو قوله تعالى : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا) [2] ، وقوله : (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) [3] ، وقوله : (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) [4] ، وقوله : (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ)[5]، وقوله :(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[6] ، وقوله :(وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) [7] ، وقوله: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) [8]، وقوله: (سَنَفْرُغُ لكُم أيُّها الثقلان)[9] ، وقوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ)[10]0

وبعد البحث في دواوين الشعر العربي تبيَّن لنا أنَّ تأخرَ(أيّ) في النداء وتقدم المعني بالنداء او غاية النداء يُحذَفُ معه حرفُ النداء في الأعم الأغلب من نحو قول امرئ القيس (ت 80 ق0هـ) :

(1) ديوانه : 46
(2) النساء : 133
(3) يوسف : 46
(4) يوسف : 7
(5) الحجر : 57 ، الذاريات : 31 .
(6) النور : 31
(7) يس : 59
(8) الزمر : 64
(9) الرحمن : 31
(10) الواقعة : 51

الا انعِم صباحاً أيُّها الرَبعُ وانطقِ وحَدِّث حديثَ الركب إن شئتَ واصدُقِ[1]

وقال أيضاً :

الا عِم صباحاً أيُّها الطللُ البالي وهل يَعمن مَن كان في العُصُر الخالي [2]

وقال المسيب بن عَلَس (ت 48 ق0هـ) :

ألا انعِم صباحاً أيُّها الرَبعُ واسلَمِ نحييّك عن شحطٍ وإن لم تَكلَّمِ [3]

وقال الأعشى (ت 7 هـ) :

وَدِّع هُريرَة إنَّ الركبَ مُرتَحِلُ وهل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرَّجُلُ [4]

وقال النجاشي الحارثي (ت 49هـ) :

فَمَن للذاري بعدها ونسائنا ومن للحريم أيُّها الفتيانُ [5]

وقال جميل بثينة (ت 82هـ) :

أَفِقّ أيُّها القَلبُ اللجوجُ عن الجهلِ وَدَع عنكَ جُملاً لا سبيل إلى جُملِ [6]

وقال الراعي النميري (ت90هـ) :

خَبرّتُ أنَّ الفتى مروانَ يوعدُني فَاستبْقِ بعضَ وعيدي أيُّها الرَّجُلُ[7]

وقال الأخطل (ت 90هـ) :

ألا يا اسلما على التقادُمِ والبِلى (بدومةِ خَبتٍ) أيُّها الطلَلانِ[8]

(1) ديوانه : 168
(2) ديوانه : 27
(3) ديوانه : 127 ، شحط : بعد .
(4) ديوانه : 135
(5) ديوانه : 169
(6) ديوانه : 232
(7) ديوانه :187
(8) ديوانه : 335

وقال الأحوص الأنصاري :

أَفِق أيها المرءُ الذي بهمومه إلى الظاعِنِ النائي المحلةِ يَنزَعُ[1]

وربَّ قائل يقول : إن الغاية من حرف النداء هو تنبيه المنادى ولما تقدم الخطاب وتأخرت (أيُّ) في النداء فإنَّ المنادى قد تنبَّه لطلب المنادي فانتفت الغاية إلى التنبيه فلم يُذَكر الحُرف في هذه المواضع ، وهذا مردود فقد تقدم الخطاب في النداء في غير النداء بـ(أيّ) ومع هذا فقد ذُكِرَ الحرف من نحو قوله جلَّ شأنُه : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2]، وقوله: (إِنِي لأَظُنُّكَ يا موسى مسحوراً)[3]0 وقوله : (وما تلك بيمينك يا موسى)[4] ، وقوله (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)[5] ، وقوله: (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)[6] ، وهو كثير في القرآن[7]،

وأخيراً وليس آخراً فأحسب أنَّ الله وفقني في بحث دلالة (أيّ) في النداء وأساليب التعبير القرآني في استعمالاتها بما لم أُسبق إليه على حدّ علمي وجهد اطلاعي وأرجو الله أن ينفع به الدارسين ليُقيموا البحث انطلاقاً مما توصلتُ إليه وأنتقل لدراسة دلالة (لعلَّ) النحوية في سياق النداء في القرآن الكريم.

دلالة (لعلّ)

يطالعنا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[8]

قال أبو السعود : ((المعنى الوضعي لكلمة (لعلَّ) هو إنشاءُ توقع أَمرٍ مترددٍ بين الوقوع وعدمِه مع رجحان الأول إما محبوب فيُسمَّى ترجياً ، أو مكروه فيسمى إشفاقاً))[9] ، وقد جاءت على سبيل الأطماع في مواضع من القرآن ، ولكن لأنه إطماعٌ من كريم رحيم، إذا أطمعَ فَعلَ ما يُطمِعُ فيه لا محالة، لجرْي إطماعِه مجرى وعده المحتوم وفاؤُه به ، وأيضاً فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرِهم ورسومهم أَن يقتصروا في

(1) ديوانه : 116

(2) البقرة : 179

(3) الإسراء : 1.1

(4) طه : 17

(5) الشعراء : 116

(6) الشعراء : 167

(7) البقرة : 197 ، الاعراف : 88 ، مريم : 46 ، طه : 36 ، 83 ، الانبياء : 62 ، القصص : 38 ، الحشر: 2

(8) البقرة : 21

(9) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 81/1 ، روح المعاني : 188/1

مواعيدهم التي يوطّنون أنفسَهم على إنجازها على أن يقولوا: عسى ولعل، ونحوها من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يُظفَرَ منهم بالرمزةِ أو الابتسامةِ، أو النظرة الحُلوة ؛ فإذا عُثِرَ على شيءٍ من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شكٌّ في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلامُ مالك الملوك ، أو يجيء عن طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتّكلَ العبادُ كقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)[1] ، ويرى الزمخشري أَنَّ (لعلَّ) لا يجوز أن تُحَملَ على رجاءِ الله تقواهم، لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة [2]، وحملُه على أن يَخلُقَهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً، ولكنَّ (لعلَّ) في الآية واقعةٌ موقعَ المجازِ لا الحقيقة ، لانَ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ عبادَهُ ليتعبَّدهم بالتكليف، وركَّبَ فيهم العقولَ والشهواتِ وأزاح العلَّةَ في إقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضعَ في أيديهم زمامَ الاختيار[3]، ونقل الطبرسي قول سيبويه قال: ((إنَّما وردت لفظةُ (لعلَّ) على أنَّهُ ترج للمخاطبين، كما قال: (فقولا له قولاً ليناً لعلَّهُ يتذكر أو يخشى) وأراد بذلك الأبهام على موسى وهارون ، فكأنه قال إذهبا أنتُما على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراءِ ذلك عالم بما يؤول إليه أمرُ فرعون))[4]

وتحتمل دلالة (لعلَّ) عند الطبرسي أربعة أوجه :

الأول : أي خَلَقكُم لتتقوه وتعبدوه

الثاني : معناه اعبدوا لتتقوا

الثالث : معناه لعلَّكُم تتقون الحرمات بينكم ، وتكفّون عمّا حرَّم اللهُ ، وهذا كما يقول القائلُ : إقبل قولي لعلَّكَ تُرشَد ، فليس أنَّه من ذلك على شك وإنَّما يريد إقبلهُ تُرشَد ، وإنما أَدخل الكلام (لعلَّ) ترقيقاً للموعظة ، وليس يريد بذلك الشك ، ومثله قول الشاعر :

وقُلْتُم لنا كُفُّوا الحُروُب لَعَلَّنَا نكُفُّ ، وَوَثَّقْتُم لَنا كُلَّ مَوْثِقِ
فَلَمّا كَففْنَا الحَربَ كانت عهودُكم كَلَمحِ سَرابٍ في المَلا مُتأَلِّقِ

أراد : قلتم لنا كفّوا لنكف ، لأنَّهُ لو كان شاكاً لما قال : وثقتُم كُلَّ موثِقٍ.

(1) الكشاف 87/1 ، والآية : 8 من سورة التحريم

(2) أبو السعود في تفسيره : 81/1 ، والشوكاني في فتح القدير : 61/1 .

(3) الكشاف : 87/1 .

(4) مجمع البيان : 122/1 ، وينظر :كتاب سيبويه : 331/1 ، والآية 44 من سورة طه .

الرابع : هو أن لا يحل العبدُ أبداً محل الآمن المدل بعمله ، بل يزداد حالاً بعد حال ، حرصاً على العمل ، وحذراً مِن تركهِ [1] ، ويرى ابن عطيه أنَّ (لعلكم) متعلقة بقوله : (اعبُدُوا ربَّكُم)[2] وهذا ما رجّحه أبو حيان الأندلسي ، فالذي نودوا لأجله هو الأمر بالعبادة ، فناسب أن يتعلق بها ذلك وأتى بالموصول وصلته على سبيل التوضيح أو المدح الذي تعلقت به العبادة فلم يُجأ بها لإسناد يقتضي ان لا يهتم بها فيتعلق بها ترج أو غيره بخلاف قوله (اعبدوا) فأنها الجملة المتفتح بها أولاً والمطلوبة من المخاطبين ، وإذا تعلق بقوله (اعبدوا) كان ذلك موافقاً ، إذ قوله (اعبدوا) خطاب (ولعلكم تتقون) خطاب[3] ، وتتسع الدلالة عند الفخر الرازي لتحتمل عدة أوجه:

أحدها : أنَّ معنى (لعلَّ) راجع إلى العباد لا إلى اللهِ تعالى

وثانيها : أنَّ مِن عادة الملوك والعظماء أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسَهم على إنجازها أن يقولوا لعلَّ وعسى ونحوهما من الكلمات ، أو للنظر منهم بالرمزةِ أو الابتسامة فإذا عُثرَ على شيء من ذلك لم يبق للطالب شك في الفوز بالمطلوب فعلى هذا الطريق ورد لفظ (لعلّ) في كلام الله تعالى.

وثالثها : ما قيل إن لعلَّ بمعنى (كي)

وقد رد الزمخشري هذا الرأي قال : ((ولعلَّ لا تكون بمعنى كي))[4] ، وردّه أبو حيان الأندلسي أيضاً ، قال : ((وليست لعلَّ هنا بمعنى كي ، لأنه قولٌ مرغوبٌ عنه ، ولكنها للترجي والإطماع))[5]

ورابعها : أنه تعالى فعل بالمكلفين ما لو فعله غيره لاقتضى رجاء حصول المقصود لأنه تعالى لما اعطاهم القدرةَ على الخير والشر وخلق لهم العقول الهادية وأزاح أعذارهم ، فكل من فعل بغيره ذلك فإنَّه يرجو منه حصول المقصود ، فالمراد من لفظة (لعلَّ) فعل ما لو فعله غيره لكان موجباً للرجاء.

وخامسها : لعلَّ مأخوذ من تكرر الشيء كقولهم : عللا بعد نهل ، واللام فيما هي لام التأكيد كاللام التي تدخل في لقد ، فأصل لعلّ عل ، لأنَّهم يقولون علَّك أن تفعل كذا ، أي لعلك ، فإذا كانت حقيقة التكرير والتاكيد كان قول القائل إفعل كذا لعلّك تظفر بحاجتكَ معنا [6] .

(1) ينظر : مجمع البيان : 122/1 ، والبيت لم نهتد لقائله .

(2) ينظر : المحرر الوجيز : 197/1

(3) ينظر : البحر المحيط : 235/1

(4) الكشاف : 87/1

(5) البحر المحيط : 234/1 .

(6) ينظر : التفسير الكبير : 111/2

وذهب أبو السعود إلى القول: (وإن روعيت جهة المخاطب فلعلَّ في معناها الحقيقي ، والجلمة حال من ضمير اعبدوا ، كأنه قيل : اعبدوا ربَّكُم راجين للانتظام في زُمرةِ المتَّقين الفائزين بالهدى والفلاح) [1] ، وتحتمل الدلالة عند الشيخ الجمل ثلاثة أوجه :

الأول: أَنَّ لعلَّ على بابها من الترجي والإطماع ولكن بالنسبة إلى المخاطبين أي لعلَّكُم تتقون على رجائكم وطمعكم وكذا قال سيبويه[2].

الثاني : أنها للتعليل أي اعبدوا ربَّكُم لكي تتقوا وبه قال قطرب

الثالث : أنها للتعرض للشيء كأنَّهُ قيل افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا وهذه الجملة على كلَّ قول متعلقة من جهة المعنى بأعبدوا أي اعبدوا على رجائكم التقوى أو لتتقوا أو متعرضين للتقوى [3]

وذهبت الدكتورة فاطمة عبد الرحمن إلى القول : ((والحق ما قاله سيبويه وهو أَنَّ الرجاء أو الإشفاق يتعلق بالمخاطبين وإنما ذلك الأصل ألاّ تخرج الكلمةُ عن معناها بالكلية فـ(لعلّ) منه تعالى حَمْلٌ لنا على أن نرجو أو نشفق ، كما أنَّ (أو) المفيدة للشك إذا وقعت في كلامه تعالى كانت للتشكيك أو الإبهام لا للشك ، تعالى اللهُ عنه))[4] وبعد هذا ننتقل إلى دراسة الترخيم.

دلالة الترخيم

الترخيم لغةً: أَرْخَمَتِ النَّعامة والدجاجة على بيضها ورَخَمَتْ عليه ورَخَمته ترْخُمُهُ رَخْماً ورَخَماً، وهي مُرْخِمٌ وراخِمٌ ومُرْخِمةٌ: حَضَنَتْهُ ورَخَّمها أَهلُها: ألزموها إياه، وألقى عليه رَخْمَتَهُ أي محبته ومودته ورَخَمت المرأةُ ولدَها تَرْخُمُهُ وتَرخَمُهُ رَخْماً : لا عبته [5]

وذكر المجاشعي (ت 479هـ): أَنَّ الأصمعي قال: (أَخَذَ عنّي الخليلُ الترخيم ، وذلك أَنَّه سألني ما يُسمي العرب الكلام السهل؟ فقلت: العربُ تقول جاريةٌ رخيمةٌ، إذا كانت سهلة الكلام لينته ، فوضع باب الترخيم واصل الكلمة اللين، ومنه اشتقاق الرَّخَمَة للين مفاصلها)[6].

واصطلاحاً : حذف آخر الاسم المنادى تخفيفاً [1] ، وهو من خصائص النداء [2]، قال ابن جني : (إعلم أَنَّ التَّرخيمَ حَذفٌ يلحقُ أواخِرَ الأسماءِ المضمومة في النِّداء تخفيفاً ، وهو في الكلام على ضربين أحدهما : أن

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 82/1

(2) ينظر :كتاب سيبويه : 331/1

(3) الفتوحات الإلهية : 26/1

(4) لعل وتوسعات العرب في استعمالاتها ، فاطمة عبد الرحمن : 53

(5) لسان العرب : 179/5 (رخم)

(6) شرح عيون الإعراب ، للمجاشعي : 273 ، والمجاشعي : هو علي بن فضال ، الاعلام : 135/5

تحذفَ آخِرَ الاسمِ ، وتَدَعَ ما قبلَهُ على ما كانَ عليهِ من الحركة والسُّكون نحو قولك في (حارث) ياحارِ ، وفي (مالك) يامالِ ، قال زُهير:

يا حارِ لا أُرمَيْنْ منكُم بداهيةٍ لم يَلقَها سُوقةٌ . قبلي . ولا ملكُ

والآخر : أن تحذفَ ما تحذفُ ، وتجعل ما بقي بَعْدَ الحَذفِ اسماً قائماً بنفسِهِ ، كأنْ لم تحذفْ منهُ شيئاً ، نحو قولكَ في حارث : يا حارُ وفي مالك : يا مالُ [3] 0

وللترخيم شرائط

إحداها : أن يكون الاسمُ علماً

والثانية : أن يكون غير مضاف

والثالثة : أن لا يكون مندوباً ولا مستغاثاً

والرابعة : أن تزيد عدَّته على ثلاثة أحرف إلا ما كان في آخره تاء تأنيث فإن العلمية والزيادة على الثلاثة فيه غير مشروطتين يقولون : يا عاذلَ وياجاريَ لا تستنكري وياثُبَ أقبلي [4] ، وفي قوله تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ)[5] ، قرأ الجمهور: (يا مالكُ) بالكاف [6] ، وقرأ عليٌّ، وابن مسعود [7] ، ويحيى بن وثّاب، والأَعمش [8] : (يا مالِ) بحذف الكاف للترخيم [9]، ((على لغة من ينتظر الحرف)) [10] ، ونقل ابنُ عطية عن أبي الدرداء ـ ﷺ ـ (ت32هـ) أنَّهُ رواها عن رسول الله

(1) شرح ملحة الإعراب: 227، والمقرّب: 2.4، والفوائد الضيائية، شرح كافية ابن الحاجب، للجامي: 341/1 ، والقطر الشافي، مُحَمَّد حسين: 228، والتراكيب اللغوية في العربية: 295

(2) المفصل في علم العربية ، للزمخشري : 47

(3) اللمع في العربية : 2.6 ، 2.7 ، والبيت من شعر زهير بن ابي سُلمى : 87

(4) المفصل في علم العربية: 47، شرح الوافية نظم الكافية: 199، الفوائد الضيائية، شرح كافية ابن الحاجب: 341 ، 342

(5) الزخرف : 77

(6) المحرر الوجيز : 251/3

(7) الكشاف : 168/4 ، 252 ، مجمع البيان :95/25 ، التفسير الكبير : 228/27 ، البحر المحيط : 27/8

(8) المحتسب :257/2 ، المحرر الوجيز : 251/13 ، مجمع البيان :95/25 ، البحر المحيط : 27/8

(9) التفسير الكبير : 228/27

(10) البحر المحيط : 27/8

ρ[1] ، قال مجاهد: ((ما كنّا ندري معنى (يا مالِكُ) حتى سمعنا في قراءة عبد الله (ونادوا يا مالِ)))[2]

وقد توراد عن ابن عباس . رضي الله عنهما . عندما حُكيت له هذه القراءة قولُه : ((ما اشغلَ أهلُ النَّارِ عن الترخيم))[3] ، وربما رأى بعضُهم في ذلك اشارة ((إلى إنكارِها ، وكأنه لحظ أَنَّ الترخيمَ يرد . في مألوف الاستعمال . عند قصد التصرُّفِ في الكلام ، والتفنُّن فيه لغرض أو لآخر وأهلُ النَّارِ في حالٍ تشغلهم عن توخي ذلك القصد في خطابهم))[4] ، وأُجيبَ عنه بأنّه إنَّما حسَّن هذا الترخيم لأنَّهُ يدل على أنَّهم بلغوا في الضعف والنحافة بحيث لا يمكنهم أن يذكروا مِنَ الكلمةِ إلاّ بعضها [5]

ولوحظ أنَّ ابنَ جني يتوسل بمقولة ابن عباس في أستكناه كُنه الترخيم ههنا بمنزعه النفسي ومقامه [6] ، فرأى ((أنَّ في هذا الموضع سراً جديداً ، وذلك أنَّهم . لعظم ما هم عليه . ضعُفَتَ قواهُم وذلَّت أَنفسُهم ، وصغُر كلامُهم ، فكان هذا مِن مواضع الاختصار ضرورةً عليه ، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالكُ لقولِه ، القادر على التصرّف في منطقه))[7] ، ((فأهل النّارِ آنذاك عاجزون ، وقد ضاق المقامُ بهم ، عن إتمام لفظ المنادى ، وكأنَّهُ يخرج من أفواههم ، بل لِنَقُل من أحشائِهم بحشرجة في أصواتهم لا تصدر الاّ عن مكروب يشارف الهلاك))[8] ، ويرى البقاعي أنَّ في الترخيمِ إشارةً إلى أنَّ العذابَ أوهنهم عن إتمام الكلام ولذا قالوا : (ليقضِ علينا) أي سله سؤالاً حتماً أن يقضي القضاءَ الذي لا قضاءَ مثله ، وهو الموت على كل واحد منّا [9] ، ومما يلاحظ أنَّ بواعثَ ترقيق الصوت على الأعم الغالب عاطفية وجدانية تتصل بالحزن تارةً وبالفرح تارة يصحب الحزن ألم ويصحب الفرح نشوة ، فإذا أَخذنا برأي مَن رأى في هذا ترخيماً فإن الباعث على الترخيم هو الضعف والوهن الناجم عن الألم وهذا قليل في الاستعمال اللغوي في هذا الباب لكنّه ورد في القرآن الكريم وكان لابد لي من أن أقِفَ عنده وإن نفاه كثير من العلماء وأخرجوه من باب النداء .

(1) المحرر الوجيز : 252/13 ، وابو الدرداء : هو عويمر بن زيد بن قيس صاحب رسول الله، سير أعلام النبلاء ، للذهبي : 25/4

(2) معاني القرآن للنحاس : 385/6 ، الجامع لأحكام القرآن : 11/9

(3) الكشاف : 168/4 .

(4) التوجيه البلاغي ، للقراءات القرآنية ، أحمد سعد محمد : 257/1

(5) التفسير الكبير : 228/27 ، الكشاف : 168/4 .

(6) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية : 257/1

(7) المحتسب : 257/2 .

(8) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية : 257/1

(9) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 53/7

تغيّر الحالة الإعرابية وأثره في تنوع الدلالة

في قوله تعالى : (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [1]

قرأَ عامةُ القراء : (واللهُ أعلَمُ بما وَضَعَتْ) بتاء التأنيث الساكنة [2] ، بما يوافق رسمَ المصحفِ ، ويكون من قول اللهِ تبارك وتعالى ، فَتُجزم التاء ، لأنَّهُ خبرٌ عن أُنثى غائبة ، وبها قرأ ابن كثير ، ونافع وحمزة والكسائي [3] ، فالحجة لمن أسكن أنَّه جعله من إخبار اللهِ تعالى عن أُمّ مريم ، والتاء دليل على التأنيث وليست بإسم [4] ، ومَن أسكن التاء جاز أن يبتديء به لأنَّهُ استئناف إخبار مِنَ اللهِ تعالى بذلك ، فهو منقطع من كلامِ امرأةِ عمران [5]

ودلالة هذا عند الطبري : والله أعلمُ من كُلِّ خلقِه بما وضعت [6] ، قال النحاس : ((في الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : قالت رَبِّ إني وضعتُها أُنثى ، وليس الذَّكرُ كالأُنثى ، فقال اللهُ عزّ وجلّ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)))[7]، وتتسع الدلالة عند الزمخشري فقد ذهب إلى القول: ((واللهُ أعلمُ بالشيء الذي وضَعَتْ، وما عُلّقَ به مِن عظائمِ الأَمور، وأن يجعَله ووالدتَه آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلمُ منه شيئاً، فلذلك تحسَّرت))[8]

ويرى الفخر الرازي أنَّ في ذلك تعظيماً لولدها ، وتجهيلاً لها بقدرِ ذلك الولد [9]، ولم يبتعد أبو حيان الأندلسي عن آراء المفسرين ويرى أنَّه إخبار من الله بأنه أعلمُ بالذي وضعته أي بحاله وما يؤول إليه أمر هذه الأُنثى فأَخبر الله تعالى أنَّه أعلمُ بهذه الموضوعة فأتى بصيغة التفضيل المقتضية للعلم بتفاصيل

(1) ال عمران : 36

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 278/3 ، وينظر :كتاب معاني القراءات : 51 ، والمبسوط في القراءات العشر : 162 ، والكشف والبيان : 48/2 ، وحجة القراءات : 16. ، والكافي في القراءات السبع : 92 ، وزاد المسير : 3.6/1 ، والتفسير الكبير : 29/8 ، والجامع لأحكام القرآن : 653/2 ، والبحر المحيط : 457/2 ، وفتح القدير : 421/1 ، والنشر في القراءات العشر : 18/2. ، واتحاف فضلاء البشر : 222

(3) ينظر: كتاب السبعة في القراءات : 2.4

(4) الحجة في القراءات السبع : 51

(5) التذكرة في القراءات : 218

(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 278/3

(7) معاني القرآن ، للنحاس : 134/1

(8) الكشاف : 314/1

(9) التفسير الكبير : 29/8

الأحوال وذلك سبيل التعظيم لهذه الموضوعة والإعلام بما عَلِقَ بها وبابنها من عظيم الأُمور إذ جعلها وابنها آية للعالمين، ووالدتها جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً [1] ، وجاء في نظم الدرر: إنَّ مريمَ عليها الصلاة والسلام وإن كانت ظاهرها الأُنوثة ففيها حقيقة المعنى الذي الحقها بالرجل في الكمال، حتى كانت ممّن كَمُلَ من النساء لما لا يصل إليه كثير من رجال عالمها [2].

ويرى الشيخ الجمل أنَّ في ذلك تنبيهاً على عظم قدر هذا المولود وأَنَ له شأناً لم تعرفه ولم تعرف إلاّ كونه أُنثى لا غير دون ما يؤول إليه من الأَمور العظام والآيات الواضحات [3] ، قال الشوكاني : ((هو كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعته والتفخيم لشأنه والتجليل لها حيث وقع منها التحسر والتحزن ، مع أنَّ هذه الأُنثى التي وضَعَتها سيجعلها الله وابنَها آيةً للعالمين وعبرة للمعتبرين ويختصّها بما لم يختصّ به أحداً))[4] وقرأ عاصم في رواية أبي بكر [5] ، وابنُ عامر[6] ، وأبو بكر [7] ، ويعقوب [8] ، وأبو رجاء ، وابراهيمُ النَّخعي [9] : (وَضَعْتُ) بضمّ التاء [10] ، على وجه الخبر بذلك عن أُمِّ مريم أنها هي القائلة ، واللهُ أعلمُ بما ولدتُ [11] ، قال النحاس : ((فعلى هذه القراءة ليس في الكلام تقديم ولا تأخير))[1] ، ودلالة ما قالت عند

(1) البحر المحيط : 457/2 .

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 71/2

(3) الفتوحات الإلهية : 263/1

(4) فتح القدير : 421/1

(5)كتاب السبعة في القراءات: 2.4، معاني القرآن، للنحاس: 134/1، المبسوط في القراءات العشر: 162

(6)كتاب معاني القراءات : 1.. ، المبسوط في القراءات العشر : 162 ، حجة القراءات : 16. ، الكافي في القراءات السبع : 92 ، الإقناع في القراءات السبع : 387 ، الكشف والبيان : 48/2 ، المحرر الوجيز : 88/3 ، زاد المسير : 3.6/1 ، التفسير الكبير : 29/8 ، الجامع لأحكام القرآن : 653/2 ،البحر المحيط : 457/2 ، فتح القدير : 421/1 ، النشر في القراءات العشر : 18/2. ، اتحاف فضلاء البشر : 222 ، روح المعاني : 13/2. .

(7)كتاب معاني القراءات : 1.. ، حجة القراءات : 16. ، الكافي في القراءات السبع : 92 ، الإقناع في القراءات السبع : 387 ، الكشف والبيان : 48/2 ، التفسير الكبير : 29/8 ، الجامع لأحكام القرآن : 653/2 ،البحر المحيط : 457/2 ، فتح القدير : 421/1 ، روح المعاني : 48/2

(8)كتاب معاني القراءات : 1.. ، المبسوط في القراءات العشر : 162 ، الكشف والبيان : 48/2 ، زاد المسير : 3.6/1 ، البحر المحيط : 457/2 ، النشر في القراءات العشر : 18/2. ، اتحاف فضلاء البشر : 222 ، روح المعاني : 13/2

(9) معاني القرآن ، للنحاس :134/1

(10) التفسير الكبير : 29/8 .

(11) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 287/3

الزمخشري لعلَّ لله فيه سراً وحكمةً ، ولعلّ هذه الأُنثى خيرٌ من الذكر ، تسلية لنفسها [2] 0

ويرى ابن عطية إنَّما تلهفت على فوت الأمل وأفزعها أن نَذَرتْ ما لا يجوز نذره[3] وذهب الفخر الرازي إلى القول إنها لما قالت : ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾، خافت أنْ يُظنُّ بها أنَّها تُخبر اللهَ تعالى ، فأزالت الشبهةَ بقولها:(وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) وثبت أنَّها إنَّما قالت ذلك للإعتذار لا للإعلام [4] ، وإلى مثل هذا ذهب الشوكاني في فتح القدير [5] ، وتتسع الدلالة عند أبي السعود لتحتمل أمرين : الأول : الاعتذار إلى اللهِ تعالى لأنَّها أتت بمولود لا يصلُح لما نذرته في السدانة 0 الثاني : تسلية لنفسها على معنى لعلَّ لله تعالى فيه سراً وحكمة ولعلَّ هذه الأنثى خيرٌ من الذَّكَر[6] ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب الشيخ الجمل في الفتوحات الإلهية [7] ، والآلوسي في روح المعاني [8] 0

وفي قوله تعالى : (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [9] 0

قرأ عامةُ قُرّاءِ الأمصار : (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صالحٍ) عَمَلٌ : اسم مرفوع منَّون ورفع غير[10] بما يوافق رسم المصحف ، وبها قرأ ابنُ كثير ونافع وابو عمرو وعاصم[11]0 روى الفرّاء عن ابن عباس أنَّهُ قال : ((سؤالكَ إيّاي ماليس لك به علم عَمَلٌ غيرُ صالح)) [12] ، قال الأخفش: ((لأنّه حين قال . والله أعلم .

---

(1) معاني القرآن ، للنحاس : 134/1

(2) الكشاف :314/1

(3) المحرر الوجيز : 88/3

(4) التفسير الكبير : 29/8

(5) فتح القدير : 421/1

(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 36/1. .

(7) الفتوحات الإلهية : 263/1

(8) روح المعاني : 13/2

(9) هود : 46

(10) معاني القرآن ، للفرّاء ، 17/2 ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن : 64/12 ، والمبسوط في القراءات العشر : 239 ، والتذكرة في القراءات : 3.1 ، وحجة القراءات : 341 ، والكشف والبيان في تفسير القرآن : 325/3 ، والكافي في القراءات السبع : 29 ، ومجمع البيان :283/12 ، والنشر في القراءات العشر : 217/2 ، : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 318/6 ، اتحاف فضلاء البشر : 321 ، 322

(11)كتاب السبعة في القراءات : 334

(12) معاني القرآن، للفرّاء : 17/2

(فلا تسألنِ ما ليس لَكَ بِهِ علمٌ) كان في معنى (أَنْ تَسْألني) فقال(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ))) [1] ، ونقل الطبري دلالتين لبعض المفسرين : الأولى : قال بعضُهم : معناه : إنَّ مسألتكَ إيّاي هذه عَمَلٌ غيرُ صالح

والثانية : إن الذي ذكرت أنه ابنك فسألتني أَن أُنجيه عَمَلٌ غيرُ صالح ، أي إنه لغير رِشدة ، وهذا القول باطل قطعاً وقد ردّه اغلب المفسرين لما فيه من خطر عظيم ينبغي تنزيه الرسل عنه [2] ، قال ابنُ عباس : ((ما بغت امرأةُ نبيّ قط))[3] 0 ويؤيد الطبري الرأي الأول فقد ذهب إلى القول ((إنَّ سؤالكَ إيّاي ما تسألنيه في ابنك المخالف لدينك الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتي إيّاك في دعائِكَ (لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [نوح : 26] ، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم عَمَلٌ غيرُ صالح)) [4] ، ونقل النحاس قول قتادة قال : ((معناه إنَّ سؤالكَ إيّاي ماليس لكَ به علمٌ في قوله تعالى : (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء) [هود : 43] ، عَمَلٌ غيرُ صالح)

قال النحاسُ : ((وهذا أحسنُ ما قيل فيه ، لأن عبد الله بن مسعود قرأ (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صالحٍ أَنْ تسألني ما لَيسَ لكَ به علمٌ)))[5] ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب الثعلبي في الكشف والبيان [6] ، وتتسع الدلالة عند الطوسي لتحتمل أمرين : الأول : إنه ذو عمل غير صالح فجاء على المبالغة في الصفة كما قالت الخنساء :

ترتع ما ترتع حتّى إذا ادّكرت فانما هي إقبال وادبار

قال الزجاج : ((تقديره : فإنما هي ذات اقبال وادبار))[7]

الثاني : هو أن يكون المراد أنَّ كونَه مع الكافرين وانحيازه اليهم وترك الركوب مع نوح عَمَلٌ غيرُ صالح [8] ، ويرى مكي بن أبي طالب القيسي أن الهاء في (إِنَّهُ) تعود على السؤال ، أي : إنَّ سؤالك إيّاي أَنْ أُنجيّ

(1) معاني القرآن ، للأخفش : 221

(2) الكشاف : 4.7 ، والتبيان في تفسير القرآن : 494/12 ، والنشر في القراءات العشر : 217/2

(3) الجامع لأحكام القرآن : 436/5 .

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 65/12

(5) معاني القرآن ، للنحاس : 5.9/1 ، 51

(6) الكشف والبيان في تفسير القرآن : 325/3

(7) معاني القرآن واعرابه ، للزجاج : 46/3

(8) التبيان في تفسير القرآن : 494/2 ، 495 ، والبيت من ديوان الخنساء : 57

كافراً عَمَلٌ غيرُ صالح [1]، ويرى ابن زنجلة [2] أن الهاء في (إنَّه) كناية عن السؤال ولم يجر له ذكر ظاهر ، وذلك جائز فيما قد عرف موضعه أن يكني عنه أو جرى ما يدلّ عليه كقوله جلّ وعز : (ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا) [ال عمران:180] ، فكنّى عن البخل لأنه ذكر الذين يبخلون اكتفاء به من ذكر البخل وكنّى عنه ، وقال : (حتى توارت بالحجاب) [ص:32] يعني الشمس ، وهذه أعلام لا يجهل موضعها ، قال الشاعر :

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليهِ وخالف والسفيهُ إلى خلافِ

فقال: (جرى إليه) ولم يجر ذكر (السفه) ولكن لما ذكر السفيه دلَّ على السفه [3] ، قال الآلوسي : ((إنَّ الأصل ، إنّه ذو عمل فاسد فحذف (ذو) للمبالغة بجعله عينَ عمله لمداومته عليه ولا يقدّر المضاف لأنهُ حينئذ تفوت المبالغةُ المقصودةُ منه [4]وقرأ ابنُ عباس [5] ، والكسائي [6] ، ويعقوب [7] ، وعروة ، وعكرمة [8] وسهل [9] :(إنَّه عَمِلَ غيرَ صالحٍ) بكسر الميم وفتح اللام من (عمل) ونصب الراء من (غير)[10] روى الفرّاء عن أمِّ سلَمة أنها قالت : قلتُ يا رسولَ اللهِ كيف أقرؤها ؟ قال : (إنَّهُ عَمِلَ غيرَ صالحٍ) [11] والحجة لمن فتح اللام مِن (عَمِلَ):أنَّهُ جعله فعلاً ماضياً وفاعله مستتر فيه ؛ و(غير)

(1) مشكل اعراب القرآن : 4.2/1

(2) هو عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن زنجلة ، لم يذكر محقق كتابه : تأريخ وفاته .

(3) حجة القراءات : 342 ، وآمالي المرتضى : 2.3/1 ، ومجمع البيان : 195/1

(4) روح المعاني : 266/6

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 65/12 ، والجامع لأحكام القرآن : 435/5

(6)كتاب السبعة في القراءات : 334 ، المبسوط في القراءات العشر : 239 ، حجة القراءات : 341 ، الكافي في القراءات السبع : 129 ، التبيان في تفسير القرآن : 12/ 494 ، الإقناع في القراءات السبع : 4.9 ، مجمع البيان : 282/12 ، الجامع لأحكام القرآن : 435/5 ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 318/3 ، روح المعاني : 266/6

(7) المبسوط في القراءات العشر : 239 ، التبيان في تفسير القرآن : 494/12 ، مجمع البيان : 282/12 ، النشر في القراءات العشر : : 217/2 ، اللباب في علوم الكتاب : 1./5.. ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 318/3 ، اتحاف فضلاء البشر : 321 ، روح المعاني : 266/6

(8) الجامع لأحكام القرآن : 435/5

(9) مجمع البيان : 282/12 .

(10)كتاب السبعة في القراءات : 334

(11) معاني القرآن ، للفرّاء : 18/2 ، وينظر: روح المعاني : 266/6

منصوب لأنه وصفٌ قام مقام الموصوف ومعناه: أنه عَمِلَ عملاً غيرَ صالح هذا ما قاله ابنُ خالويه [1] ، و إلى مثل هذا الرأي ذهب الشيخ الطوسي فدلالة ذلك عنده أنه ليس من أَهلك لأنه عَمِلَ غيرَ صالحٍ ، وتقديره أنه عَمِلَ عملاً غيرَ صالح ، وحذف الموصوف ، واقام الصفةَ مقامه [2] ، ومثل هذا ورد كثيراً ولا يمكن أنكاره ، ومَن زعم أنَّ العربَ لا تقول : هو يعملَ غيرَ حسن ، حتى يقولوا : عَمِلَ غير حسن فهذا مردود فقد ردّه ابن زنجله الذي يرى أنّ القرآن نزل بخلاف قول هؤلاء ، قال تعالى :(ومن تاب وعَمِل صالحاً)[الفرقان : 25 ،71] ومعناه : ومَن تاب وعَمِلَ عملاً صالحاً ، وقال : (واعملوا صالحا) [المؤمنون :23 ،51] ولم يَقُل عملاً ، وقال في موضع آخر(الاّ مَن تابَ وآمَن وعَمِلَ عملاً صالحاً) [الفرقان:71] وقال :(ويَتَّبِعَ غيرَ سبيل المؤمنين) [النساء :115] ، ولم يَقُلْ (سبيلا غير سبيل المؤمنين) فكذلك قوله (إِنَّهُ عَمِلَ غيرَ صالحٍ)معناه :(إِنَّهُ عَمِلَ عملاً غيرَ صالحٍ) وذهب إلى القول إنَّ الهاء في (إِنَّهُ)عائدة على ابن نوح لأنه جرى ذكره قبل ذلك فكنى عنه[3] ، ويرى الطبرسي أنَّهم يقيمون الصفة مقام الموصوف ، عند ظهور المعنى ، فيقول القائل : قد فعلتَ صواباً ، وقُلتَ حسناً بمعنى: فعلتَ فعلاً صواباً ، وقُلتَ قولاً حسناً ، قال الشاعر :

وَكَمْ مِن قتيلٍ ما يُباءُ به دَمٌ وَمِن غَلِقٍ رَهْنٍ إذا لفَّهُ مِنى

اراد وكم مِن إنسان قتيل ونظائره كثيرة [4]، وإلى مثل هذا الرأي ذهب أبو السعود في تفسيره [5] ، ويرى ابن الجوزي أن في ذلك دلالة على أنّهُ مشرك [6]، قال القرطبي : (((إنه عَمِلَ غيرَ صالح) أي من الكفر والتكذيب))[7]

وفي قوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ

(1) الحجة في القراءات : 1.6

(2) التبيان في تفسير القرآن : 495/12

(3) حجة القراءات : 341

(4) مجمع البيان : 283/12 ، والبيت لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : 8 .

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 318/3

(6) زاد المسير : 88/4

(7) الجامع لأحكام القرآن : 435/5

إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً) [1]
قرأ العامةُ : (سُبحانَه أَنْ يكونَ لَهُ ولدٌ) بفتح الألف من أَن[2]، بما يوافق رسم المصحف0قال الطبري : (يقول علا الله وجلّ وعزّ وتعظّم وتنزّه عن أَن يكون له ولد أو صاحبة)[3] ، والدلالة عند الزمخشري : سبحه تسبيحاً من أن يكونَ لَهُ ولد [4] ويرى الفخر الرازي أَنَّ اللّهَ سبحانه نَزَّه نفسهَ عن الولد [5] ، قال القرطبي : (أي : تنزيهاً عن أن يكونَ له ولد ، فلماّ سقط (عن) كان (أن) في محل النصب بنزع الخافض أي كيف يكون له ولد ؟ وولد الرَّجلِ مُشْبِه له ، ولا شبيه لله عزّ وجل)[6] وذهب أبو حيان الأندلسي إلى القول : (معناه تنزيهاً له ، وتعظيماً من أن يكون له ولد ، كما تزعم النصارى في أمره)[7] ، وتابع أبو السعود أراء المفسرين [8] ، ولم يخرج الشوكاني عن هذا المعنى [9]

وقرأ الحسن البصري : (إِن يكونُ) بكسر الألفِ ورفع النون من يكون [10] ،قال ابنُ جني : ((هذه القراءة توجب رفع يكون ، ولم يذكر ابنُ مجاهد إعرابَ يكون وإنما يجبُ رفعه لأن (إن) هنا نفي كقولك : ما يكون له ولد ، وهذا قاطع)[11]، ويرى الزمخشري أَنَّ الكلامَ هنا جملتان ودلالته : سبحانه ما يكون له ولد. [12]

وإلى مثل هذا الرأي ذهب الفخر الرازي في التفسير الكبير [13] ، قال أبو السعود : (أي سبحانه ما يكون له ولد)[14]

(1) النساء : 171
(2) المحتسب : 2.4/1
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 46/6
(4) الكشاف : 514/1
(5) التفسير الكبير : 119/11
(6) الجامع لأحكام القرآن : 649/3
(7) البحر المحيط : 418/3
(8) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 226/2
(9) فتح القدير : 684/1
(10) المحتسب : 2.4/1 ، الكشاف : 514/1 ، التفسير الكبير : 119/11 ، البحر المحيط : 418/3
(11) المحتسب : 2.4/1
(12) الكشاف : 514/1
(13) التفسير الكبير : 119/11
(14) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 226/2

وفي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)[1] 0

قال ابن عباس في قوله (يحكم به ذوا عدل) (يريد يحكُم في جزاءِ الصَّيدِ رجلان صالحان ذوا عدل منكم أي من أهلِ ملتِكُم ودِينِكِمُ فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأَشياء به من النعم فيحكمان به)[2]

قال الطبري : ((ذوا عدل) من المسلمين))[3] ، وذهب أبو حيان الأندلسي إلى القول : ((والظاهر أنّهُ يحكم به عدلان)[4] ، والدلالة عند أبي السعود هي أن يحكم حكمان عادلان من المسلمين [5] ، ويرى الشيخ الجمل أن يكونا أصحاب عدالة [6] ، وقرأ مُحَمَّد بن علي الباقر[7] (ت118هـ)، وجعفر بن مُحَمَّد الصادق[8] (ت148هـ)[9] ،

(يَحكُم به ذُو عَدْلٍ مِنكُم) 0 قال ابنُ جني : ((لم يوحِّد ذو لأن الواحد يكفي في الحكم ، ولكنه أراد معنى مَنْ ، أي يحكُم به مَن يعدل ، ومَن تكون للإثنين كما تكون للواحد نحو قوله : **نَكُنْ مَثلَ مَن يأذئبُ يصطحبانِ** [10]

وقد ردّ الطبرسي قولَ ابن جني ويرى ان الدلالة ليس كما يرى ابن جني والوجه الذي ذكره بعيد غير مفهوم وذكر الطبرسي أَنَّهُ وجد في تفسير أهل البيت (عليهم السلام) ما نُقِلَ عن مُحَمَّد الباقر وجعفر

(1) المائدة : 95

(2) التفسير الكبير : 98/12

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 53/7 .

(4) البحر المحيط : 23/4 .

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 2/ 321 .

(6) الفتوحات الإلهية : 526/1

(7) غاية النهاية : 2.2/2

(8) المحتسب : 219/1 ، مجمع البيان : 416/7

(9) أنظر : غاية النهاية : 196/1 ، 197

(10) المحتسب : 219/1 ، والبيت للفرزدق

الصادق، أنَّ المراد بذي العدل رسول الله وأُولو الأمرِ من بعده [1] ، وتحتمل الدلالة عند الزمخشري أمرين :

الأول : أراد يحكُم به مَن يعدل منكم ، ولم يرد الوحدَة

الثاني : أراد الإمام [2] ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط [3] 0

تغيّر الحالة الإعرابية وأثره في تعدد اللغات

في قوله تعالى: (وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [4]

قرأ عامة القراء من أهل المدينة : (يا بُشريّ) بإثبات ياء الإضافة [5] وبها قرأ ابن أبي اسحاق [6] ، والحسن ، والجحدري [7] وابن أبي عبلة [8]قال الفرّاء : ((ومن قال : (يابُشريّ) فأضاف وغيّر الألف إلى الياء فإنه طلب الكسرة التي تلزم ما قبل الياء من المتكلم في كل حال ؛ الا ترى أنَّك تقول : هذا غلامي فتخفض الميم في كل جهات الإعراب فحطّوها إذا أُضيفت إلى المتكلم ولم يحطّوها عند غير الياء في قولك : هذا غلامك وغلامه ؛ لأنّ (يا بشرى) من البشارة والإعراب يتبيّن عند كل مكني إلا عند الياء) [9]، وذكر الفرّاء أنَّ بعض بني سليم قالوا له : آتيكَ بمَوليَّ فإنّهُ أروى منّي 0[10]

ونسب الطبري هذه اللغة إلى طيئ ، قال : ((وذلك لغة طيئ ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

(1) مجمع البيان : 417/7

(2) الكشاف : 63/2

(3) البحر المحيط : 23/4

(4) يوسف : 19

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 199/12

(6) المحتسب : 336/1 ، المحرر الوجيز : 462/7 ، زاد المسير : 149/4 ، الجامع لأحكام القرآن : 535/5 ، البحر المحيط : 291/5 ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 374/3 ، روح المعاني : 394/6

(7) المحتسب : 336/1 ، المحرر الوجيز : 462/7، البحر المحيط : 291/5 ، روح المعاني : 394/6

(8) زاد المسير : 149/4

(9) معاني القرآن ، للفراء : 39/2 ، 4

(10) المصدر نفسه والصفحة نفسها

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهمُ فتُخُرِّموا ولكلِّ جَنْبٍ مَصرَعُ[1]

ويرى النحاس أنَّ المعنى في نداء البشرى التنبيه لمن حضر ، وهو أوكد من قولك : تَبَشَّرتُ ، كما تقول : يا عَجَبَاهُ ، أي يا عجبُ هذا من أيامك فاحضُر [2] ، ويرى ابن جني أنَّ هذه اللغة لغة فاشية ، ولم ينسبها إلى بيئة معينة ، وروى عن قطرب قول الشاعر :

يُطوِّفُ بي عِكَبٌ في مَعَدِّ ويَطْعَنُ بالصُمُلَّةِ في قَفيَّا
فإن لم تَثأَرا لي من عِكَبٍّ فلا أَرْوَيْتُما أبدا صَدَيّا[3]

ونسب الشيخ الطوسي هذه اللغة إلى هذيل[4] ، تابعه في ذلك أبو حيان الأندلسي [5] 0 ويرى الزمخشري أنها لغة للعرب مشهورة ولم ينسبها إلى بيئة معينة ، قال : ((سمعتُ أهل السراوات يقولون في دعائهم : يا سيدي ومولَيَّ))[6]،

تابعه ابن عطية في تفسيره [7] ، ونسبها الآلوسي إلى هذيل وإلى ناس غيرهم دون أن يعينهم [8] ، ونسب الدكتور إبراهيم السامرائي هذه اللغة إلى هذيل [9]،

وقال الدكتور أحمد علم الدين الجندي : ((والذي أرجحه أنَّها لهذيل)) [10] ، ونسبها الدكتور صاحب أبو جناح إلى هذيل ، قال : ((وهي لغة معرفة عند هذيل)) [11] 0

وفي قوله تعالى : (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 199/12 ، والبيت منسوب لأبي ذؤيب الهذلي في اللسان : 154/14 (نصب) ، وشرح شواهد المغني :262/1 ، وبغير نسبة في همع الهوامع : 491/1

(2) معاني القرآن ، للنحاس : 533/1 ، 534

(3) المحتسب : 336/1 ، والبيت بغير نسبة في جمهرة اللغة : 488/3 ، والمحتسب : 336/1 .

(4) التبيان في تفسير القرآن : 113/12 .

(5) البحر المحيط : 291/5

(6) الكشاف : 452/2

(7) المحرر الوجيز :462/7

(8) روح المعاني : 394/6

(9) في اللهجات العربية القديمة :147

(10) اللهجات العربية في التراث : 54/2.

(11) الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز : 75

أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [1] ، وقوله : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) [2] ، وقوله : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) [3]

قرأ ابن عامر : (أيُّهُ) بضم الهاء فيهن [4] ، وذهب ابن زنجلة إلى القول إنَّها لغة من لغات العرب ولم ينسبها إلى بيئة معينة ويرى أنَّ الحجة في ذلك أنّ المصاحف جاءت في هذه الثلاثة بغير ألف ونقل ابن زنجلة قول ثعلب ، قال: ((كأنّ مَن يرفع الهاء يجعل الهاء مع (أيّ) اسماً واحداً على أنّه اسم مفرد))[5]، ويرى الزمخشري أنّ ضم الهاء وجهه أنّها كانت مفتوحةً لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتُها حركةَ ما قبلها [6] وإلى مثل هذا الرأي ذهب الفخر الرازي في تفسيره [7]

وقال أبو حيان الأندلسي : ((ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف بالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها وضم (ها) التي للتنبيه بعد (أيّ) لغة مالك شقيق ابن سلمة)) [8]

ونسب الدكتور مُحَمَّد سالم محيسن هذه اللغة إلى بني مالك من بني أسد ، قال: ((يضمّون هاء التنبيه فيقولون في نحو (يا أيها الناس ويا أيها الرجل) (يا أيهُ الناس ويا أيهُ الرجل) إلا اذا تلاها اسم إشارة نحو (ايهذا) فإنهم يوافقون فيها الجمهور))[9] ، ويرى الدكتور علي ناصر غالب أنّها لغة بني أسد وخاصة بني مالك ، قال : ((وهي لهجة أسد وبخاصة بني مالك أحد بطون أسد إذ قالوا : ايهُ الرجل)).[10]

---

(1) النور : 31

(2) الرحمن : 31

(3) سورة الزخرف : 49

(4)كتاب السبعة في القراءات : 455 ،كتاب معاني القراءات : 333 ، 334 ، المبسوط في القراءات العشر : 318 ، التذكرة في القراءات : 384 ، الكافي في القراءات السبع : 167 ، حجة القراءات : 497 ، 498 ، البحر المحيط : 414/6 ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 41

(5) حجة القراءات : 498

(6) الكشاف : 289/3 .

(7) التفسير الكبير : 212/23

(8) البحر المحيط : 414/16 .

(9) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية : 4

(10) لهجة قبيلة أسد : 61

المنادى المضاف (ربِّ . ربَّنا)

المنادى المضاف من أكثر أنواع النداء شيوعاً ودوراناً في التنزيل [1] ومنه نداء الرَّب المضاف إلى الضمير ، فقد ورد في الكتاب العزيز في مئة وتسعة وعشرين موضعاً ، وقد كثر حذف حرف النداء مع لفظة (الرب)

قال ابن برهان العكبري في شرح اللمع : ((يجوز حذف حرف النداء مع الاسم العلم ، لأن البيان فيه يكون به علماً مع الإقبال عليه فقد يستغني به عن حرف النداء ، قال الله تعالى : (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا) [ال عمران:194] ، (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) [ابراهيم : 36])) [2] ، تابعه الحريري (ت 516) من دون أن يذكر سبب الحذف [3] ، وذكر الزمخشري جواز حذف حرف النداء ولم يتطرق إلى سبب الحذف [4] ،ولم يعلل ابن الخباز في الغرة المخفية [5] ، وابن يعيش (ت 643هـ) في شرح المفصل [6] ، والبعلي (ت709هـ) في الفاخر [7] ، والمكودي (807هـ) في شرحه [8] سبب الحذف ولم يعلل أغلب الباحثين سبب الحذف0[9] ومن الذين عللّوا سبب الحذف أبو الحسن الورّاق قال : ((ويجوز أن يكون الحذف كثيراً في القرآن لأَنَّ اللهَ تعالى قريبٌ ممّن يدعوه فلهذا حُذِفَ حرفُ النداء))[10] ، وقال الشيخ الطوسي : ((إنَّما حُذِفَ حرفُ النداء ، لما كان أصله تنبيه المنادى ليُقبل عليك وكان اللهُ عز وجل لا يغيب عنه شيء . تعالى عن ذلك . سقط حرفُ النداء للاستغناء))[11] ، وحكمة الحذف من نحو ما يرى الزركشي (ت 794هـ) الدلالة على التعظيم والتنزيه ؛ لأنَّ النداء يَتشرب

(1) التأويل النحوي في القرآن الكريم ، عبد الفتاح أحمد الحموز : 824/1

(2) شرح اللمع : 427 ، 428

(3) شرح ملحة الإعراب : 226 ، 227

(4) المفصل في علم العربية : 44

(5) الغرة المخفية لابن الخباز في شرح الدّرة الالفية ، لابن معطِ : 517/2 .

(6) شرح المفصل : 29/1.

(7) الفاخر في شرح جمل عبد القاهر : 518/2 ، والبعلي : هو مُحَمَّد بن أبي الفتح ، الاعلام 218/7 .

(8) شرح المكودي على الألفية : 213 ، والمكودي : هو عبد الرحمن بن علي بن صالح ، بغية الوعاة : 117/2 .

(9) المعجم الوافي في النحو العربي: 371 ، التراكيب اللغوية في العربية : 185 ، التأويل النحوي في القرآن الكريم : 824/1

(10) علل النحو : 478 ، والوراق : هو مُحَمَّد بن عبد الله ، أنظر : الاعلام : 98/7 .

(11) التبيان في تفسير القرآن : 171/2

معنى الأمر ؛ لأنّك إذا قلت ، يا زيد ، فمعناه أدعوك يا زيدُ ، فحُذفِت (يا) من نداء الرب ، ليزول معنى الأمر ، ويتمحض التعظيم والإجلال [1]، وفي الإتقان قال السيوطي : ((كَثُر حذفُ (يا) في القرآن من الرَّبِّ تنزيهاً وتعظيماً ، لأَنَّ في النداء طرفاً من الأمر))[2] ، ويرى السيوطي أن سبب الحذف هو الاختصار [3] ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب الفاكهي (ت 972هـ) في كشف النقاب [4]

والذي تبين لنا أَنَّ نداء الرب في الكتاب العزيز يحذف منه حرف النداء في الأعم الأغلب.

ويرى الباحث أَنَّ من المحتمل أن يعود سبب الحذف لأمرين :الأول : أجمع النحاة على أَنَّ حروفَ النداء تستعمل للتنبيه،

وهذا في نداء الربّ مردود بقوله تعالى : (اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ) [5] 0

الثاني : حرف النداء (يا) يستعمل للبعيد في الأعم الأغلب لما فيه من مدّ الصوت والبعد مادي في الأعم الأغلب فالأصل في النداء أن يكون لطلب الإقبال المادي الحسي [6]وهذا مردود مع الربّ لأنَّ الله سبحانه أبعد من البعد ولا يمكن أَن نحدد بعده لا تدركه الأوهام ولا تدركه الأبصار ، وهو في الوقت نفسه أقرب من القرب ، فلا ينادى بحرف نداء يستعمل للبعيد أو للقريب

ونقل الدكتور عبد الحميد السيد رأي الدكتور مُحَمَّد بدري عبد الجليل في كتابه المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، قال : (لقد بين الباحث الكريم كيف أن القرآن الكريم شاكل الأسلوب البشري فكان هذا النداء للكائنات على اختلافها ، لم نجد آيةً بها نداء من الله لنا الأ بيا ، أَما ندائونا نحن لله سبحانه وتعالى فينبغي أن يكونَ غير ذلك ، ينبغي أن يكونَ مشاكلاً للمستوى الإلهي . إن صحَّ التعبير . لأنَّ ما ورد خطاباً لنا كان مشاكلاً لأسلوبنا ، وبهذا علمنا القرآن الكريم ، فلم ترد آية واحدة خطاباً من البشر لله سبحانه وتعالى بها أداة نداء مصرحاً بها ، وإنما كان النداءُ منوياً [7] ، قال : ((وإن شئت فانظر إلى نداء نوح لأبنه في قوله : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ

(1) البرهان في علوم القرآن : 213/3 ، والزركشي هو مُحَمَّد بن عبد الله ، أنظر : الأعلام : 286/6 .

(2) الاتقان في علوم القرآن : 189/3 ، وينظر : معترك الأقران : 249/1

(3) الفرائد الجديدة : 342/1 ، وينظر :المطالع السعيدة : 279

(4) كتاب كشف النقاب عن مخدّرات ملحة الإعراب : 479/2 ، والفاكهي : هو عبد الله بن أحمد ، أنظر : الأعلام : 33/5

(5) البقرة : من الآية 255 .

(6) الموسوعة القرآنية المتخصصة ، د محمود حمدي زقزوق : 45

(7) دراسات في اللسانيات العربية ، عبد الحميد السيد : 29

)[هود :42]، وانظر إلى نداء نوح لربه في قوله : (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) [هود : 45])[1] ولم يرد ذكر حرف النداء (يا) في نداء الرب في النظم الكريم إلاّ في قوله تعالى :(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [2] ، وقوله : (وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ) [3] ، وعلل الدكتور عبد الفتاح لاشين ذكر الحرف في قوله :(وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ) قال :((وأَلمح في المجيء بحرف النداء هنا خاصة تعبيراً عن حالة نفسية ألمت بالرسول وقد أَفرغ جهده في دعوة قومه وإنذارهم ، فلم يزدهم ذلك الا تمادياً في كفرهم، فأطبق الهمُّ على فؤاده، وكأنَّما شعر بتخلي الرب عن نصرته وبعده عن أن يمدّ إليه يدَ المساعدة فأَتى بحرف النداء، كأنما يريد أن يرتفعَ صوتَه زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه)[4]، ويرى الدكتور بسيوني عبد الفتاح أنَّ في ذكر الحرف آمتداداً للصوت عند النطق به، وكأَنَّ الرسول وجد فيه متنفساً لآلامه وأحزانه [5] ويرى الباحث أن ذكر الحرف في هاتين الآيتين لم يقصد به الرسول الكريم طلباً يتوجه به إلى الله بل قصد الإخبار فقط وبما أَنَّ اللهَ يعلم مسبقاً بما أَخبره به فيكون هذا الإخبار عما في نفس الرسول الكريم لا عن شيء يريد إيصاله إلى الله سبحانه فلمّا انتفى الطلب وانتفى التنبيه لم يبق الاّ التنفيس عن الألم وهو ما يحتاج إلى صوت ممدود يُفرغ به المتكلم ما يحسه من ضيق في صدره والغرض نفسي في المقام الأول.

وهكذا تتضح وجوه الدلالة النحوية لهذا الاستعمال القرآني من خلال ما قدمناه من استقصاء لأساليب التعبير القرآني في هذا الباب

اللَّهُمّ

ذهب نحاة البصرة منذ عهد روادهم إلى القول إنّ (اللّهُمَّ) نمط خاص من أنماط النداء خُصّ به لفظ الجلالة الله وإَنَّ الميم المشدَّدة في آخره عوض من (يا) النداء المحذوفة وقد سدّ حرفا الميم المشدّدة مسدّ

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(2) الفرقان : 3.

(3) الزخرف : 88

(4) المعاني في ضوء أساليب القرآن ـ عبد الفتاح لاشين : 19.

(5) من بلاغة النظم القرآني : 236 ، وينظر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقديه لمسائل المعاني ـ بسيوني عبد الفتاح : 33.

حرفي (يا) ولا يجوز الجمع بينهما لأنه لا يجمع بين العوض والمعوض منه [1] ، قال الخليل رحمه الله : ((اللَّهُمَّ نداء والميم هاهنا بدلٌ من يا))[2] . واحتجّ الفرّاء على فساد قول البصريين من وجوه :

الأول : إنّا لو جعلنا الميم قائماً مقام حرف النداء لكنّا قد أَخّرنا النداءَ عن ذكر المنادى ، وهذا غير جائز البتة ، فإنه لا يُقال : (الله يا) وعلى قولهم يكون الأمر كذلك

الثاني : لو كان هذا الحرف قائماً مقام النداء لجاز مثله في سائر الأسماء ، حتى يقال : زيدمَّ وبكرمَّ ، كما يجوز أن يقال : يازيدُ ويا بكرُ

الثالث : لو كان الميم بدلاً من حرف النداء لما اجتمعا ، لكنهما اجتمعا في الشعر نحو :

وما عليك أن تقولي كلما سبحتِ أو صليت يا اللَّهُمّا [3]

وقول الآخر :

إني إذا ما حدثٌ ألمّا أقولُ يا اللّهُمَّا يا اللَّهُمَّا [4]

الرابع : لم نجد العرب يزيدون هذه الميم في الأسماء التامة لإفادة معنى بعض الحروف المباينة للكلمة الداخلة عليها ، فكان المصير إليه في هذه اللفظة الواحدة حكماً على خلاف الاستقراء العام في اللغة وأنه غير جائز [5]

وذهب الفراء إلى أن الأصل في (اللّهُمَّ) : يا أللهُ أُمَّنا بخير . ورد ابنُ الانباري هذا الرأي قائلاً : (لو كان الأمر على ما ذكروا وذهبوا إليه لما جاز أن يستعمل هذا اللفظ الاّ في ما يؤدي إلى هذا المعنى ، ولا شكَّ أَنَّه يجوز أن يقال : اللّهُمَّ العنه ، اللّهُمَّ أخزه وما أشبه ذلك ، قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ

(1) ينظر : المقتضب ، للمبرد : 239/4 ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن : 258/3 ، 259 ، واشتقاق اسماء الله ، للزجاجي : 41 ، والكشف والبيان في تفسير القرآن : 36/2 ، والتبيان في تفسير القرآن : 428/3 ، ومجمع البيان : 268/3 ، واسرار العربية : 13. ، والتفسير الكبير : 3/8 ، وشرح المفصل في صنعة الاعراب ، للخوارزمي : 293/1 ، وفتح القدير : 414/1

(2) كتاب سيبويه : 169/2

(3) البيت بغير نسبة في لسان العرب : 191/1 (إله) ، وهمع الهوامع : 248/3 ، والدرر اللوامع : 252/6 ، وخزانة الأدب : 296/2

(4) البيت منسوب لأبي خراش الهذلي في الدرر اللوامع : 41/3 ، وبغير نسبة في سر الصناعة : 94/2 ، ولسان العرب :19/1. (إله) ، وشرح ابن عقيل : 265/3 ، وهمع الهوامع : 48/2

(5) ينظر: معاني القرآن ، للفراء : 2.3/1 ، و التفسير الكبير : 4/8

إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانفال : 32] ، ولو كان الأمر على ما ذهبوا إليه لكان التقدير فيه : أُمَّنا بخير إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، ولا شكَّ في أَنَّ هذا التقدير ظاهر الفساد))[1] ، ولما كَثُر في كلامهم ، وجرى على السنتهم، حذفوا بعض الكلام تخفيفاً والضمة التي في الهاء هي الضمة التي كانت في أُمَّنا لما حذفت الهمزة انتقلت الحركة [2] ، وردّ الزجاج هذا القول، قال: ((محالٌ أن يُتَرك الضَمُّ الذي هو دليل على نداء المفرد وأن يُجعل في اسم الله ضمةُ (أُم) وهذا الحاد في اسم الله عز وجل)[3]

وقال النحاس : (هذا عند البصريين من الخطأ العظيم حتى قال بعضهم : هذا إلحادٌ في اسم الله عز وجل)[4] ، وضرب الكوفيون مثلاً على الحذف للتخفيف قالوا : كما قالوا : (وَيلُمَّه) والأصل فيه (ويل أمّه) وهذا كثير في كلامهم ، فكذلك ههنا ، وردّ الزجاج هذا قائلاً : ((لو كان الأمر كما قال لجاز أن يتكلم به على أصله ، فيقال (الله أم) كما يقال : (ويلُمَّه) ثم يتكلم به على الأصل فيقال : (ويل أمّه) [5]

ويسأل الدكتور ابراهيم السامرائي فيقول : هل لنا أن نفترض فنقول : إنَّ الميم فيها ـ يعني اللهم ـ هي كالميم في الكلمة العبرانية (إلوهيم) وتعني الله ، والكلمة العربية بقايا لكلمات ذات اصول بعيدة ورثت الميم في نهاياتها من اصولها اللغوية القديمة نحو (ابنم) و (فم) ونحو ذلك[6]

ومن المعلوم أنَّ (اللّهُمَّ) تستعمل في غير النداء في موضعين :

الأول : أن يذكرها المجيب تمكيناً للجواب في نفس السامع كأن يقول لك القائل : أزيدُ قائم ؟ فتقول له : اللّهُمَّ نعم أو اللّهُمَّ لا

الثاني : أن تستعمل دليلاً على الندرة وقلة وقوع المذكور نحو قولك : أنا أزورك اللّهُمَّ إذا لم تدعُني [1] ، وقول العلماء : ((لا يجوز أكل الميتة اللّهُمَّ الاّ أن يُضطّر ، فيجوز))[2] ، ويتساءل الدكتور سلمان

(1) أسرار العربية : 131

(2) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 3/ 259 ، والكشف والبيان في تفسير القرآن : 36/2 ، 37 ، والتبيان في تفسير القرآن : 428/3 ، المحرر الوجيز : 66/3 ، أسرار العربية : 13. ، والتفسير الكبير : 3/8 ، وشرح المفصل في صناعة الإعراب : 358/1

(3) معاني القرآن واعرابه ، للزجاج : 332/1 ، وينظر : المحرر الوجيز : 66/3

(4) إعراب القرآن ، للنحاس : 318/1 ، 319

(5) التفسير الكبير : 4/8 ، وينظر: معاني القرآن وإعرابه : 33/1. ، والنص عند الفخر الرازي لا ينطق تماماً مع نص الزجاج في معانيه ولكن ينطبق معه بالمعنى

(6) رسائل في اللغة ، تحقيق : إبراهيم السامرائي : في هامش : 119

القصاة فيقول : ولست أدري ماذا يقول الفريقان في (اللّهُمَّ) التي تستعمل لتمكين الجواب لا للنداء وللدلالة على الندرة في غير النداء أيضاً فمن أين أتت الميم المشددة ؟ فيجب عن ذلك قائلاً : (إنهم لا يستطيعون أن يقولوا إنها عوض من (يا) ولا هي بقية من جملة (أُمّنا بخير) لأنَّ المقام ليس مقام نداء)[3] 0 وخلُص الدكتور سلمان القصاة إلى القول : إن (اللّهُمَّ) تساوي قولنا (الله) ولكن الأولى ٱحتفظت بلاصقة (التمييم) ، و(اللّهُمَّ) في الآيات الكريمة هي اسم الله تعالى منادى بحرف النداء (يا) مقدراً ، ولنا أن نتساءل لماذا ٱحتفظ لفظ الجلالة بلاصقة (التمييم) في اللهم ولم يحتفظ بها في لفظ الجلالة (الله) وإذا كانت صيغة (اللّهُمَّ) هي لفظ الجلالة نفسه فلم استُعمِلَت في القرآن الكريم مرة بلفظ الجلالة الله وأُخرى بلفظة (اللهم) ؟ ومن المعلوم أنَّ الاستعمال القرآني للألفاظ هو استعمال في غاية الدقة و الإتقان ، وقد أجمع المفسرون والنحاة على أنَّ استعمال (اللّهُمَّ) في الكتاب العزيز هو لنداء الله سبحانه وهي صيغة تنماز عن لفظ الجلالة (الله)

والذي تبين لنا أن لفظ الجلالة (الله) لم يُستعمل معه في الكتاب العزيز حرف نداء وهذا ما تقدم ذكره

ويرى الباحث أنَّ من المحتمل أن تكون الميم الأولى للجمع والتعظيم ويعضد هذا الرأي ما روي عن أبي رجاء العطاردي أنه قال: (هذه الميم تجمع سبعين اسماً من اسمائه)[4]، وقال النضر بن شميل (ت 202هـ)

((من قال اللّهُمَّ فقد دعا الله بجميع أسمائه)[5] ، وممّا لا شك فيه أَنَّ (اللّهُمَّ) نداء ، ولا يُجيز سيبويه غيره [6] ، فمن المحتمل أن تكون الميم الثانية مختصة بنداء الله سبحانه مثلما اختصت التاء في القسم بلفظ الجلالة وهذه الميم لا تستعمل مع جميع اسماء الله الحسنى و لا مع لفظة (إله) التي قد تطلق على الآلهة و لا مع جميع المسميات واختصت بلفظ الجلالة الله إشعاراً

(1) حاشية الصبّان : 217/3 ، 218

(2) همع الهوامع : 2 /48

(3) اللهم رؤية جديدة في الصيغة والإعراب ، الدكتور سلمان القصاة ، بحث في مجلة التربية والعلم ، العدد الحادي عشر 1991 ،كلية التربية جامعة الموصل : 74

(4) البحر المحيط : 436/2

(5) النضر : هو النضر بن شميل بن خرشنة المازني البصري ، أنظر : غاية النهاية : 341/2 .

(6)كتاب سيبويه : 196/2

من الله سبحانه إلى رسوله حيث قال : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) [1] ، وقوله (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [2]

فأوحى الله سبحانه إلى رسوله أن يدعوه بهذه الصيغة ، وقوله على لسان عيسى عليه السلام: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً) [3] ، لدلالة عظمة هذا النداء وتفرّد هذا الاسم فقط باتصال الميم المشددة وهو الاسم العلم المتضمن لجميع أوصاف الذات ، ولغلبة عظمة هذا الاسم على بقية أسمائه الحسنى وقد غلب استعمالها في القرآن الكريم في طلب خوارق العادات وتأتي في الأعم الأغلب مع ذكر الأمور الكونية الكبرى مما يكسب هذه المفردة (اللهم) مزيةً في الاستعمال القرآني لم يُلْتَفَت إليها من قبل على حدّ تتبعي وجهد اطلاعي.

(1) ال عمران : 26

(2) الزمر : 46 .

(3) المائدة : 114